غير ان اللورد بلتيمور ابى ان يهب ثروته كلها مجاراة لسياسة قريبته ولكن الجالية المرينلدية اعجبت بكرمها وعزة نفسها وعظيم ما فعلت لحسن سير الاحكام في تلك البلاد فلقبتها بصاحبة الفضل على الوطن وكتب اليها مجلس الشورى في سنة ١٦٩٤ كتاباً يقول فيه « انه لم يحسن حاكم ادارة شؤون النزلاء مثل احسانها »

وهذا كل ما عرف عن سيرة هذه الجدة الكريمة كما رونه الكاتبة الشهيرة مسز شرمن بنسمر . فنحن في هذا العصر لا نكاد نجدد امراً الا وقد سُبقنا اليه

تعليم البنات

اذا نظرنا الى شدة ما تفتقر البنات في هذا القطر الى التعليم لنكن زوجات صالحات وامهات مؤدبات وقابلنا كثرة العناية النسبية بتعليم الشبان بقلة العناية بامرهن على كونهن جديرات بان يعاملن معاملة الذكور من حيث تثقيف عقولهن واجادة تربيتهن قضينا العجب لهذا التفريط ولم نعلم أنؤاخذ عليه الحكومة ام الامة بل كلتاهما مؤاخذتان تلك لعدم التفاتها وهذه لعدم اكتراثها

ومن المستغرب ايضاً اننا نسمع لجرائدنا اليومية ومجلاتنا الادبية والعلمية صيحات تبلغ عنان السماء في كل موضوع لا تكاد تكون لنا فيه ناقة ولا جمل ولكنها لا تدخل في مثل هذا البحث الا نادراً واذا دخلت فيه لامر

فهي لا تتبعه كانه فضلة لا شان لها . أفلا يرى ارباب تلك الصحف في حكمتهم وسعة معرفتهم ان يأخذوا بيد الانيس في الدعوة التي ينتدب لها ويسترعي لها اسماع الحكومة والامة معاً

ولقد تصفحنا في بعض الجرائد اليومية الكبرى اقوالاً طويلة مستفيضة في شان تعليم الشبان ولم نجد في خلالها ذكراً للبنات حتى نكاد نلتمس بعض العذر لذوي الامر في اعراضهم عنهن فهل قضي على الشرق ان يظل ابد الدهر مغفلاً امر المرأة مع انها لو حسنت تربيتها منذ القديم لما وصل الشرق الى هذا الانحطاط الذي يبكينا وكفى بالانحطاط نذيراً فما بعده الا غائلة الفناء

على انه ان كان الشبان رجال الغد كما يقال وذلك ما لا ننكره على احد أفليست البنات الزوجات والامهات والمربيات غداً فكيف تنطبق عند ذلك حالة الذكر من العلم على حالة الانثى من الجهل . واي وئام وتراضٍ يرجى بينهما وكيف يكون الولد بين امه وهي تدس فيه الخرافات المفسدة للعقول وتعوده على الجبن والخبث والشحناء المفسدة للقلوب وبين ابيه الذي يلقي عليه نقيض هذه الاشياء ولكن بعد ان يكون قد دب عليها زماناً وتأصلت جراثيمها في نفسه اللينة السهلة الانطباع . فاذا ثبت هذا وجب على ولاة الامور ان يضعوا الدواء لهذا الداء الذي وصفنا خطره وشدة مضاره

واننا اذا تأملنا احياناً في هذه العلة كدنا نرتاب ان ناظر المعارف هو سعادة فخري باشا والذي نعلمه عن سعادته وتتداوله الالسنة انه ذو علم ودراية لا يباريه فيهما الا القليل من الرجال وانه قد ادب على المبادئ الغربية العالية وانه ميال كل الميل الى ترقية المرأة وله في ذلك بعض الايادي

البيضاء فلماذا لا يبذل سعادته منتهى جهده غير تعب ولا متوان ليخدم الوطن الذي اعزه ورقاه الى منصبه السامي هذه الخدمة الجليلة التي تذكر له على توالي الايام

ونحن في مخاطبتنا لسعادته لا نحتاج الى طويل البيان وكثير الاسهاب اذ انه ادرى بفوائد ما نلتمسه منه وقد خطا خطوة مشكورة في هذا السبيل منذ سنتين ولولا ما اقيم دون مشروعه من الحواجز الحصينة لنفذ وعدّ له حسنة من الحسنات الكبرى

وعلى الجملة فالانيس بلسان جميع نساء القطر يطلب تأسيس المدارس للبنات وسيفعل كل ما يجب عليه ليفوز بتحقيق هذه الامنية الشريفة وهو يرغب الى الادباء المتفضلين من مكاتبيه ومكاتباته ان لا يتخوفوا من طرق باب هذا البحث الى ان يفتح الله لنا في النجاح فتحاً جميلا

وكيف لا وكلنا نعلم ان ولي النعم الجناب الخديوي المعظم نصيرنا في اجابة هذا المطلب العادل والخطاب الذي القاه ايده الله على طلبة العلم المصريين في باريس يدل اوضح دلالة على شدة رغبته في انتشار العلم في قطره السعيد لا يستثنى في ذلك الغني من الفقير ولا الرجل من المرأة. نسأل الله ان يطيل ايامه ويبلغنا مرامنا الشريف الخالص لخدمة الوطن العزيز على يده الكريمة